وقفـة

عبدالنبي الشعلة abdulnabi.alshoala@albiladpress.com

يوم التأسيس السعودي.. حين تُبنى الدولة وتُصاغ العلاقات بالحكمة

بين نفحات شهر رمضان المبارك، تحتفل المملكة العربية السعودية الشقيقة في الثاني والعشرين من فبراير بيوم التأسيس؛ إحياءً لذكرى قيام الدولة السعودية الأولى على يد الإمام محمد بن سعود في الدرعية بالعام 1727م، في محطة تاريخية شكلت نقطة الانطلاق لمسيرة طويلة من البناء والتوحيد، تُوِّجت بقيام المملكة العربية السعودية الحديثة على يد المؤسس الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، طيب الله ثراه. وهي مسيرة لم تقتصر على توحيد الجغرافيا، بل امتدت إلى بناء دولة راسخة، ذات حضور مؤثر ومكانة متقدمة في محيطها الإقليمي والدولي.

ويأتي هذا الاحتفاء هذا العام متزامنًا مع احتفال مملكة البحرين بـ"عام عيسى الكبير"، في مصادفة تحمل دلالات تاريخية عميقة، إذ تلتقي تجربتان عربيتان في لحظة تأسيس الدولة وترسيخ الاستقرار؛ فالشيخ عيسى بن علي آل خليفة يُعد مؤسس الدولة البحرينية الحديثة؛ إذ انتقل بالبحرين من نظام المشيخة إلى مفهوم الدولة، وبدأ مبكرًا في إنشاء الأجهزة الإدارية والمؤسسات التعليمية والقضائية والصحية والتجارية، واضعًا أسس الحكم المستقر والهوية السياسية الواضحة.

ولم يكن هذا الدور محصورًا في الداخل البحريني، بل تجاوزه إلى الإسهام في بناء علاقات إقليمية متينة، وفي مقدمتها العلاقات البحرينية - السعودية؛ فقد كان الشيخ عيسى الكبير أول من أرسى العمق التاريخي والسياسي لهذه العلاقة، ووضع قواعد التواصل والتفاهم مع آل سعود في مرحلة إقليمية مضطربة. وتؤكد الوثائق التاريخية، ولاسيما المراسلات المتبادلة بين الشيخ عيسى الكبير والملك عبدالعزيز خلال الفترة من 1913 إلى 1927، أن هذه العلاقة لم تكن علاقة مصالح ظرفية، بل علاقة دعم وثقة واحترام متبادل، تجلت حتى في البعد الإنساني؛ إذ كان الملك عبدالعزيز يخاطب الشيخ عيسى الكبير بعبارة "الوالد".

وتعود جذور هذه العلاقة إلى ما هو أبعد من تلك المرحلة، وتحديدًا إلى العام 1891، حين زار الأمير عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود البحرين برفقة والده الإمام عبدالرحمن، وكان في السادسة عشرة من عمره. أقام الأمير الشاب آنذاك في البحرين فترة من الزمن ضيفًا مكرمًا على الحاكم، واحتك بأبناء الأسرة الحاكمة، ونشأت خلال تلك الإقامة علاقات ودية وإنسانية مبكرة، تركت أثرها العميق لاحقًا عندما أصبح عبدالعزيز ملكًا ومؤسسًا لدولة.

وتبرز أهمية البحرين في حسابات الملك عبدالعزيز من خلال زياراته الرسمية لها، وأولها بالعام 1930 في عهد الشيخ عيسى الكبير أيضًا، وهي زيارة جاءت عقب زيارته التاريخية للعراق ولقائه بالملك فيصل الأول ابن الحسين. وقد عكست تلك الجولة دبلوماسية ناضجة، هدفت إلى معالجة آثار الصراعات السابقة في المنطقة، ولا سيما الصراع الذي نشب بين آل سعود والهاشميين إبّان حكمهم للحجاز، وانتهى بسيطرة آل سعود على الحجاز بعد مواجهات عسكرية قاسية وحصار طويل لمدينة جدة.

وتعززت العلاقات البحرينية السعودية بصورة أعمق خلال الزيارة الرسمية الثانية التي قام بها الملك عبدالعزيز إلى البحرين بالعام 1939، والتي استمرت خمسة أيام، وكان خلالها ضيفًا على صاحب العظمة الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة. وقد ترك الزعيمان الراحلان، الملك عبدالعزيز والشيخ عيسى الكبير، إرثًا ثمينًا من العلاقات الأخوية والاستراتيجية بين البلدين، حافظ عليه الأبناء من بعدهما، وطوّروه بحكمة وثبات، حتى أصبح نموذجًا يُحتذى به في علاقات حسن الجوار والتكامل الخليجي.

وإذ تشارك البحرين اليوم أشقاءها في المملكة العربية السعودية احتفاءهم بيوم التأسيس، فإنها تشاركهم كذلك مشاعر الفخر والاعتزاز بسيرة الملك المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، وبما تميز به من بعد نظر وحكمة سياسية ودبلوماسية واعية. ويبرز في هذا السياق واحد من أهم منجزاته الدبلوماسية، حين زار المملكة المصرية بالعام 1946، في لحظة مفصلية هدفت إلى توثيق العلاقات الثنائية وتعزيز مسار العمل العربي المشترك، ولاسيما في إطار دعم تأسيس جامعة الدول العربية.

ولم يكن مشروع الملك عبدالعزيز لتأسيس الدولة السعودية الثالثة مشروع توسع عسكري، بقدر ما كان مواجهة تاريخية مع واقع إقليمي معقد تحكمه بقايا الإمبراطورية العثمانية؛ ففي بدايات القرن العشرين، وأثناء سعيه لتوحيد نجد وبناء نواة الدولة، واجه حملات عسكرية قادتها أو موّلتها الدولة العثمانية، وشاركت فيها قوات نظامية من بينها وحدات تابعة للجيش المصري، الذي كان آنذاك جزءًا من المنظومة العثمانية. وقد شهدت مناطق القصيم ومحيطها مواجهات بارزة بين العامين 1904 و1906، انتهت، على الرغم من الفارق الكبير في العتاد والتنظيم، بتكريس نفوذ عبدالعزيز وتثبيت أقدام مشروعه السياسي.

ومع انهيار الدولة العثمانية وولادة الدول الوطنية العربية، طُويت صفحة الصدام، لتتحول العلاقات من منطق الإمبراطوريات إلى منطق الدول المستقلة. وفي هذا السياق، جاءت زيارة الملك عبدالعزيز إلى مصر ولقاؤه بالملك فاروق بوصفها لحظة رمزية بالغة الدلالة، جسدت انتقال المنطقة من زمن الصراعات المفروضة إلى زمن العلاقات القائمة على الاعتراف المتبادل والاحترام والسيادة، وهي الروح ذاتها التي حكمت علاقاته المبكرة والمتقدمة مع البحرين وسائر دول الخليج العربي.

إن يوم التأسيس السعودي ليس مجرد استذكار لحدث تاريخي، بل هو مناسبة للتأمل في تجربة دولة قامت على الحكمة، وبُنيت على التوازن بين القوة والسياسة، ورسخت علاقاتها الإقليمية على أسس الثقة والاحترام وحسن الجوار. وهي القيم ذاتها التي جمعت المملكة العربية السعودية بمملكة البحرين منذ البدايات الأولى، ومازالت تشكل حتى اليوم قاعدة راسخة لعلاقة أخوية نموذجية بين دولتين شقيقتين، تشتركان في التاريخ والمصير، وتتطلعان معًا إلى مستقبل أكثر استقرارًا وتعاونًا وازدهارًا.

منصة رائدة لاكتشاف القصص الملهمة في مجال تمكين المرأة

أبوظبي تحتضن لقاء تعريفيا بـ "جائزة الأميرة سبيكة بنت إبراهيم"

الرفاع - المجلس الأعلى للمرأة

نظم المجلس الأعلى للمرأة، بالشراكة مع الاتحاد النسائي العام بدولة الإمارات العربية المتحدة وهيئة الأمم المتحدة، لقاء تعريفيا بجائزة صاحبة السمو الملكي الأميرة سبيكة بنت إبراهيم آل خليفة العالمية لتمكين المرأة، وذلك في العاصمة الإماراتية أبوظبي، وبحضور الأمين العام للمجلس الأعلى للمرأة لولوة العوضي، والأمينة العامة للاتحاد النسائي العام في دورة الإمارات العربية المتحدة نورة السويدي، وبمشاركة مسجلة للمدير الإقليمي لهيئة الأمم المتحدة للمرأة للدول العربية الدكتور معز دريد.

وفي كلمتها باللقاء، نقلت العوضي تحيات قرينة عاهل البلاد المعظم رئيسة المجلس الأعلى للمرأة صاحبة السمو الملكي الأميرة سبيكة بنت إبراهيم آل خليفة، وشكر وتقدير سموها إلى الاتحاد النسائي العام بدولة الإمارات العربية المتحدة، برئاسة سمو الشيخة فاطمة بنت مبارك (أم الإمارات)؛ على استضافة هذا اللقاء، مشيرة إلى أنه يأتي في إطار تفعيل أعمال اللجنة البحرينية الإماراتية المشتركة، وتفعيل مذكرة التفاهم الموقعة بين المجلس والاتحاد، وهو ما يؤكد عمق أواصر التعاون والشراكة بين البلدين الشقيقين في مختلف المجالات.

وأضافت "كل الشكر والتقدير للاتحاد النسائي العام الذي أرسى قواعد وآليات ومبادرات تقدم المرأة الإماراتية منذ إنشائه بتوجيهات أم الإمارات، واليوم تجني المرأة الإماراتية ثمار هذا الجهد، مثمنين في هذا السياق الجهود الحثيثة التي تضطلع بها الأستاذة نورة السويدي الأمين العام للاتحاد النسائي العام، وفريق عملها المتميز في تنظيم هذا اللقاء، والشكر موصول إلى كافة المشاركين الكرام سواء الحاضرون منهم أو المشاركون افتراضيا".

وأوضحت العوضي أن اللقاء يهدف إلى التعريف بجائزة الأميرة سبيكة بنت إبراهيم آل خليفة العالمية لتمكين المرأة ورسالتها وأهدافها؛ كونها من أهم المبادرات التي أطلقتها مملكة البحرين وتبنتها هيئة الأمم المتحدة للمرأة، لافتة إلى أنها تعد رسالة عالمية من البحرين لدعم المبادرات الهادفة إلى تعزيز مركز المرأة، وإبراز الجهود الرامية لتمكين النساء والفتيات في مختلف دول العالم، وتقدير الإنجازات النوعية التي تبذلها مؤسسات القطاع العام والقطاع الخاص ومؤسسات المجتمع والمبادرات الفردية.

وأعربت الأمين العام للمجلس الأعلى للمرأة، عن تطلعاتها لمشاركة المؤسسات الحكومية والرسمية ومؤسسات القطاع الخاص والمجتمع المدني والأفراد في دولة الإمارات العربية المتحدة الشقيقة بالنسخة الثالثة من الجائزة، بما يسهم في رصد مزيد من التجارب الرائدة والملهمة التي تعزز تقدم وريادة المرأة، وأن تشكل الجائزة حافزا إضافيا لمواصلة العطاء وبذل مزيد من الجهود وتشجيع تبني السياسات والممارسات الداعمة للمرأة، معربة عن التطلعات إلى أن تكرر دولة الإمارات الفوز بالجائزة عبر مبادراتها المتميزة التي تتناسب مع معايير وشروط التأهل للفوز، إذ حصدت شرطة أبوظبي الفوز في النسخة الأولى عن مؤسسات القطاع العام بالعام 2019.

وفي كلمة مسجلة له عُرضت بالفعالية، قال المدير الإقليمي لهيئة الأمم المتحدة للمرأة للدول العربية الدكتور معز دريد، إنه منذ العام 2019 تشرفت الأمم المتحدة بالتعاون مع مملكة البحرين بإدارة جائزة صاحبة السمو الملكي الأميرة سبيكة بنت إبراهيم آل خليفة العالمية لتمكين المرأة، واليوم تأتي هذه الجائزة في دورتها الثالثة لترسخ مكانتها كمنصة دولية مرموقة لتسليط الضوء على المبادرات الرائدة في مجال تمكين المرأة بالعالم. وأشار إلى أن الجائزة تجسد رؤية قرينة عاهل البلاد المعظم رئيسة المجلس الأعلى للمرأة صاحبة السمو الملكي الأميرة سبيكة بنت إبراهيم آل خليفة، في تكريم المبادرات العالمية التي تحقق نتائج ملموسة على صعيد تمكين وتقدم المرأة.

وأكد الدكتور معتز دريد أن تنظيم هذا اللقاء من قبل المجلس الأعلى للمرأة والاتحاد النسائي العام في دولة الإمارات العربية المتحدة، يعكس التزاما إقليميا راسخا بدعم تمكين المرأة بما يسهم في تحقيق أهداف التنمية المستدامة ومنهاج عمل بيجين، وقال "تفخر هيئة الأمم المتحدة للمرأة بشراكتها الاستراتيجية مع كل من مملكة البحرين ودولة الإمارات العربية المتحدة، وهي شراكة تعكس الدور الريادي لدول الخليج في دفع مسارات التنمية المستدامة على المستويين الإقليمي والعالمي"، وأشار إلى أن مملكة البحرين ودولة الإمارات العربية المتحدة نجحتا في بناء نماذج ملهمة في مجال تمكين المرأة، من خلال تعزيز مشاركتها في سوق العمل وريادة الأعمال والمشاركة السياسية وتولي مواقع القيادة.

وتضمن اللقاء عرضا تعريفيا بالجائزة قدمه مستشار شؤون الأمانة العامة للمجلس الأعلى للمرأة عز الدين المؤيد، استعرض فيه أهداف الجائزة وفئاتها ومعايير الترشح وآليات التقييم، كما سلّط العرض الضوء على الأثر الذي أحدثته الدورات السابقة في دعم المبادرات النوعية وتعزيز إدماج احتياجات المرأة بمسارات التنمية، إلى جانب إبراز النماذج الملهمة التي حققت تقدما ملموسا من خلال الجائزة.

وشهد اللقاء جلسة حوارية شارك فيها نخبة من الفائزين ضمن فئات الجائزة المختلفة، بمن فيهم المؤسس والمدير التنفيذي لمركز ميراس للتدريب والتطوير والاستشارات الدكتورة آمنة البلوشي، ورئيسة منظمة "Hand in Hand" الدكتورة كالبانا سانكار، ومديرة شؤون النوع الاجتماعي والمناصرة بمؤسسة روكونجيري للتنمية المتكاملة للمرأة فيفيان نينسيما، والرئيس التنفيذي لشركة دي - أوليفيت جلوبال الدكتور توندي أدييمي، إذ تم استعراض التجارب الناجحة وتسليط الضوء على أثر المبادرات الفائزة في بيئات العمل والمجتمعات. يذكر أن هذا اللقاء جاء في إطار اللجنة المشتركة بين مملكة البحرين ودولة الإمارات العربية المتحدة، وتفعيل مذكرة التفاهم بين المجلس الأعلى للمرأة والاتحاد النسائي العام بدولة الإمارات العربية المتحدة، التي جرى تجديد التوقيع عليها في سبتمبر الماضي، والهادفة إلى تعزيز آليات التعاون والتنسيق في مختلف المجالات ذات الصلة بدعم وتمكين المرأة.